

دراسات في الشعر الهوسوي الإسلامي

د. يعقوب عبد الله

كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، نيجيريا
yaqub.abdullahi@yahoo.com

و د. عبيد الله مسعود غاتا

كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، نيجيريا
ibnabdullahi32@yahoo.com

المقدمة:

جاء الإسلام فأحدث انقلاباً عظيماً في مسار حياة الأمم، وخاصة الذين اعتنقوه ديناً، وسلوكاً. ومنهاجاً. يتضح توجيهه في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقلية، كما أثر الإسلام في الأعمال الأدبية للأمم المسلمة، ظهر هذا التأثير أولاً في الأدب العربي. ثم نما إلى آداب الفرس والترك، والهند. فعبّر الأدباء الإسلاميون عن الرؤية الإسلامية في لغات مختلفة. منطلقين جميعاً عن التصور الإسلامي. ولم تكن آداب الأفارقة شاذة عن آداب الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم. بل يتجلى أثر الإسلام وتوجيهه في آداب المسلمين منهم. فالشعر الهوسوي الإسلامي نموذج حي للأدب القومي النيجيري الذي ينعكس فيه التأثير الإسلامي وتوجيهه. فهذا البحث يدرس الشعر الهوسوي الإسلامي، نشأته. والنماذج منه والخصائص الفنية فيه.

أصل الأمة الهوسوية:

تعتبر القبيلة الهوسوية من أشهر قبائل نيجيريا، ولغتها من أشهر اللغات فيها وفي غرب أفريقيا. وتسكن أغلبية هذه القبيلة في نيجيريا كما يسكن بعضهم في دول نيجر ومالي وغانا. وقد اعتنقت هذه الأمة الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي^١ وتمسكت بتعاليمه وتوجيهاته. فسار الإسلام في سلوكياتهم وعاداتهم ومعاملاتهم وآدابهم^٢.

نشأة الشعر الهوسوي الإسلامي:

لقد ظلت الأمة الهوسوية قرونا عديدة لا تعرف إلا نوعا واحدا من الشعر، وهو الشعر الهوسوي الشفهي، فلما اعتنقوا الإسلام عقيدة وسلوكا ومنهاجا دعاهم الإسلام إلى تعلّم العلوم الإسلامية والعربية، واستجابوا لهذه الدعوة خير استجابة، حيث تعلّموا العلوم الإسلامية والعربية. وبعد فترة من الزمن أظهروا ملكاتهم ومقدراتهم في هذه العلوم بإنتاجات ممتازة، نثرية وشعرية. ونتيجة لدراسة العلماء الهوسويين الشعر العربي الجاهلي والإسلامي وإتقانهم نظمه وإدراك ما فيه من سحر البيان وجمال الصور وقوة التأثير جاءتهم فكرة قرض الشعر بلغتهم المحلية في أوران الشعر العربي المألوفة، يبلغون به الرسالة الإسلامية التي يهتمون بها ويقصدون تأصيلها في نفوس قومهم^٣.

نشأ هذا الشعر الهوسوي الجديد على يد العلماء العباقرة أمثال الشيخ محمد بن الصباغ والشيخ الولي بن مسني بكثنا، اللذين عاشا في القرن السابع عشر الميلادي وغيرهما من علماء هذا القرن. وكثر رواد الشعر الجديد في القرن الثامن عشر، حيث نبغ العالم محمد بن الكثناوي ومحمد برن غواري وشنت بن عبد الرؤوف وغيرهم^٤.

وشهد هذا الفن الشعري نضجا وازدهارا في القرن التاسع عشر الميلادي على يد علماء الجهاد الفودييين. الذين عمدوا إلى استعمال هذا النوع الشعري الجديد لتوعية الجمهور والتأثير في نفوس المسلمين وغيرهم من الكفار والمنافقين^٥. ثم تطور هذا الشعر في القرن العشرين تطورا كبيرا بتضاعف الإنتاجات الشعرية وتوزيع الشعراء في بلدان الهوسا. الذين نظموا قصائد ممتازة في أغراض مختلفة. أمثال: الوزير عثمان نصرأوا، والحاج شيخ شاغري بكتو، ومعان هطيج بكنو، وعلي نمفني بزانيا. والحاج أبوبكر لادن بزانيا، ومودي سفيكن بكنو. وعقيل علي بكنو. وغيرهم^٦.

نماذج من الشعر الهوسوي الإسلامي

يتعرض البحث في هذه الدراسة لخمس قصائد من الشعر الهوسوي الإسلامي: وهي قصيدة الصديق لأسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي، وقصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

لعلي نمضي، وقصيدة معاذ هطيج في ذم الخمر. وقصيدة المتخنث لعقيل علي. وقصيدة النصيحة للسياسيين لمودي سفيكن.

١- قصيدة الصديق أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي

ناقشت القصيدة واجبات الأمور في الإسلام وما يجب على المسلم من الاعتقادات والعبادات، ونهت على اتخاذ العدة للأخرة ونكرت أهوال الآخرة ومقاماتها، وهي قصيدة طويلة تقع في مائة وتسعة وعشرين بيتاً، وقافية القصيدة تنتهي بالحرف الدال. منها الأبيات التالية:

مُعْودِي كَرِيمٍ جَلَّ سَرْكِي مُسَمُّ هَذَا	نَيِّمٌ يَأْكُو فَيَيْئَى مُحَمَّدًا
نَيْدُكَ يَفْشُمُ دُقْنُ بَنَّا ذَاكَ	نَيْبَامُ التُّورِي دُسْتُرُ مُحَمَّدًا
كَذَاكَ دَائِمُنْثِي دَالِيزِي مُدْمُ يُو	عَالَهُ رَجِيمٌ وَنَدُ يَسُو مُحَمَّدًا
دَقْرَاءُ يَذْكُ يَفْدُكَ بَيِّنَامُنْ	حُكْمَتِي نَسْرَكِي يِي ذَاكَ مَبِ أَحْمَدًا
نَيْبِيَنَامُنْ غَسْجِيَا ذَاكَ مُنْجِيَا	فَسِي كَافِرِيَفِ نَيِّقُ حَنْزِيرُ مُحَمَّدًا ^٢

١ - معنى الأبيات:

حمدا للكرم ذي الجلال هادينا	الذي خلقنا وأرسل إلينا خير الرسل
من عصمنا من آلاف ضلالة	وأعطانا سنة محمد نورا
حمدا له على الإيمان والدين	وهو الرحيم الذي أحب محمدا
جاء بالقرآن مبينا أحكام الله	إذا قلنتع أحمد
بين الحق كله فسمعنا	إلا الكافر الذي يجحد سنة محمد

٢ - التعريف بالشاعرة:

هي أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي، ولدت سنة ١٧٩٣م في طغل. تعلمت القرآن الكريم والعلوم الدينية والعربية عند والدها. وأخذت العلوم كذلك عند أخيها محمد بلو وأختها خديجة.^٣

تصدرت الشاعرة للتدريس في بيت زوجها. حيث كانت تعلم النساء والأولاد العلوم الدينية والعربية. واشتهرت بمؤلفات وقصائد في اللغتين الفلانية والهوسوية. ولها مقالات وأشعار في العربية^٩.

٣- الأفكار الإسلامية في القصيدة:

تتميز القصيدة بالنصيحة والموعظة الحسنة. تقدمها الشاعرة إلى قومها. تدعوهم إلى الثبات على منهج الإسلام والاحتفاظ بالواجبات وترك المنهيات والترغيب في نوافل الخيرات. تتخلص تلك الأفكار الرئيسية في القصيدة فيما يلي:

- ١- الحث على ترك المعاصي واتباع خطوات الشياطين. والرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة. والاتصاف بالخشوع والخضوع لله تعالى.
- ٢- الأمر بأداء قواعد الإسلام الخمس والاحتفاظ بها. وترك الاستهانة بشيء من أمورها.
- ٣- تأكيد لزوم الطهارة في جميع العبادات وعدم الاستخفاف بها لكونها من شروط قبول العبادات. فإن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا.
- ٤- الترغيب في نوافل الخير وصالح الأعمال غير الواجبات. من ذكر الله تعالى. وقراءة القرآن والتطوع بالصيام وقراءة الأدعية الماثورة. فكل ذلك مما يزيد في الحسنات ويذهب بالسيئات.
- ٥- الحظ على الرضا بقضاء الله وقدره. حلوها ومرها. والعمل على مقتضى أحكام الله تعالى. والاحتكام إليه وإلى كتابه وسنة رسوله الكريم.

ب- قصيدة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب:

نظم الشاعر القصيدة في مدح الرسول ﷺ وزيارته إلى المدينة المنورة. وسجل فيها أخلاق الرسول ﷺ وشأنه. والحديث عن إسرائه ومعجازه. تقع القصيدة في سبعة وستين بيتا. منها الأبيات التالية:

١ - نص القصيدة: بسم الله المجيد نِيْ تُفَنِّ وَأَقَا جَدِيدِ

إِنْ يَبُوءَ مَنُودُوا حَمِيدِ لَوْ شَفَا يَوْمَ الْإِمْعَادِ

مَي سُونَسْ بَذِيْ بَقْنُ ثِكْبَا

رَبَّنَا يَذْطِنْ أَمْنُثِي عَنْ مَفِيغِيثُنْ مُتْنُثِي

طَا وَبِينَسْ نَنْ كَرَمَنْثِي وَنَذْ كَبَا شُوعَبَنْثِي

يَايِي هُورُوا بَانَ كَنْغَرَبَا

غَيْسُوَاتَاكُو تَذْطِي عَنْ مَأْيِكِنْ نَنْ دَأْثِي

رَنْ مُسْلَمِي كَرَمَنْثِي بِسْ سُونَسْ مُكُوا أَمْنُثِي

مَي سُونَسْ يَذْغِ هَلْكَبَا

رَبِّ نَأْطَفْ وَتَغْ وَأَقَا تَيَّبُوا نَسْ بَانَفَا

تَيْمَكِنْ كَبَرُ حَذَاقَا إِنِّي وَأَقَا مَي زَلَاقَا

تَيَّبُوا نَسْ بَادَ كُسْكُرَبَا

٢ - معنى الأبيات: بسم الله المجيد قصدت شعرا جديدا

أمدح النبي المحمود ذا الشفاعة يوم المعاد

الذي لا يحزن محبوه

يا رب جد بالأمان للنبي صاحب الروءة

هو محسن لأبناء غيره الذي وليته الأمانة

وهو مطاع بين الأنام

أصلي وأسلم على الرسول الذي أمر المسلمون بحبه فرضينا

ولا يحزن كل من أحبه

يا رب قصدت شعرا لمدحه بريئا عن النفاق

أعني وزدني الحذاقة لأنظم شعرا ذليقا

في مدحه بعيدا عن الخطأ

٣- التعريف بالشاعر:

ولد الحاج علي نممني في زاريا في عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م وقد أصيب بالعمى منذ طفولته. ومع ذلك لم تمنعه هذه الإصابة من التعلم. بدأ تعلمه بقراءة القرآن الكريم. وبعد اختتامه لقراءة القرآن أخذ يطوف على علماء بلده لتحصيل العلوم الدينية والعربية.^١

كان الشاعر مولعا بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وزيارة روضته. فنظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد طويلة. بل صار مدحه مدار قصائده. ومن أشهر أعماله الأدبية ديوانه: شعر الانفراج. وقد منحته جامعة أحمد بلو درجة الدكتوراه تقديرا لأعماله الأدبية عام ١٩٧٨م.^٢

٤- الأفكار الإسلامية في القصيدة:

- احتوت القصيدة على صفات الرسول الكريمة وشماثله الحميدة، وأظهر الشاعر فيها شكواه وولوعه بحب الرسول وزيارته. ونجمل تلك الأفكار فيما يلي:
- ١- وجوب الشكر لله على ما من علينا من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم.
 - ٢- كون الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا أعلى في العبادة وأداء الواجبات.
 - ٣- الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في الأخلاق. فهو مبعوث ليتمم مكارم الأخلاق.
 - ٤- ذم المدح الباطل والشعر الكاذب بناء على النص القرآني: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" الشعراء: ٢١٤-٢١٦

ج- قصيدة في ذم الفخر للمرحوم معاذ هطيم:

الله نا نيمى بو ط غورك	ذن واقر مشاين غيا
الله كذطن بصيرا غما	كود بكبن ذن غوديا
فركو وند ذي فيك الله	إن كذمو مشاين غيا
سنن شوغبتم مسلمي	النبي تن نن دونيا
أبتك يافيك سنن غورك	تافيك إنن كنا ش غيا
الجنة ذاتيك باذا	شغيتا با إنن كنا ش غيا ^٣

١ - معنى الأبيات:

اللهم افتح علي	لأنظم الشعر في شارب الخمر
رب زدني البصيرة	وإن تمنع فأنا شاكر
الله أول من يكرهك	إن كنت شارب الخمر
ثم يكرهك سيد المرسلين	هو نبي ورسول إلى كافة البشر
يكرهك والدك ووالدتك	إن كنت شارب الخمر
تكرهك الجنة . فلا تدخلها	إن كنت شارب الخمر

٢ - التعريف بالشاعر:

معاذ هطيح:

هو من مواليد مدينة هطيح سنة ١٩٩٣م، قدم والده عبد الله إلى هذه المدينة من بلد يسمى دمغرم الواقع في دولة نيجر حالياً، وكان تاجراً كبيراً. أما أمه فهي من أسرة ملوك هطيح. بدأ معاذ تعلم القرآن الكريم في سن مبكرة كغيره من أولاد المسلمين في شمال نيجيريا. وبعد إتقانه قراءته واصل في تعلم العلوم الدينية والعربية. ولم تسجله الأسرة في المدرسة الإنجليزية حتى كبر وأدرك أهمية هذا العلم الوافد، فدخل المدرسة الابتدائية في بلده ثم واصل الدراسة الإعدادية في كنو. حتى تخرج في المدرسة الثانوية في كثنا سنة ١٩٣٥م^{١٠}.

عمل الشاعر مدرسا في المدرسة الحكومية مرة في مدينة غُمل وفترة في وُبل ووقتا آخراً في رُنغن. وأخيراً نقل إلى مدينة كنو وعين مفتشاً، توفي معاذ سنة ١٩٨٥م بعدما ترك عدداً كثيراً من الإنتاجات الأدبية.

بدأ معاذ محاولته الشعرية منذ كان طالباً في المدرسة الإعدادية. قيل إنه كان يقرض الشعر في أصدقائه وفي المناسبات. وكان اتخاذه التدريس مهنة من أسباب نزوح موهبته الشعرية. وقد توزعت قصائده في أغراض مختلفة^{١١}.

٣ - الأفكار الإسلامية في القصيدة:

تتسم أفكار القصيدة بالتصور الإسلامي وهي منبثقة من مبادئ الإسلام وتعاليمه. وذلك دليل على ثقافة الشاعر وقوة إيمانه بالله وبالإسلام منهجا وسلوكا. فيرى من واجبه التصدي لهذا الداء العضال والانحراف الخلقي. المتمثل في تناول الخمر الذي ابتلي به بعض الشباب في عصره. ونجد أفكار الشاعر تتدفق تدفقا قويا. تظهر بشاعة الشراب وقذارته وعاقبة متعاطيه. كل ذلك في تصوير مفزع وكلمة مؤثرة وسخرية لازعة. ونجمل تلك الأفكار فيما يلي:

- ١ - افتتاح القصيدة افتتاحا إسلاميا بطلب الفتح والنصر من الله تعالى والبراءة من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.
- ٢ - استحقاق شارب الخمر غضب الله وعقابه وبعده عن رحمته والبراءة من ذمة الله ورسوله.
- ٣ - حرمة صحبة شارب الخمر ومجالسته إلا عند عذر ملجأ إلى ذلك، لاحتمال خوضه فيما لا يحل شرعا من فحش الكلام والغيبة والاستهزاء. "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره..." الأنعام: ٦٧
- ٤ - حرمة دعوة شارب الخمر إلى أماكن الخير والبركة. كعقد النكاح وحفلة العقيقة وتشجيع الجنائز.
- ٥ - حرمة دخول المسجد ومس المصحف لشارب الخمر.
- ٦ - جلب تناول الخمر أنواعا من الفضائح والعدوان والبغضاء بين الأسر والأصدقاء والبعد عن ذكر الله "إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون" المائدة: ٩١

د - قصيدة في المتنفس للمرحوم عقيل علي:

أفْ جَمْعًا كُبْرِي إِنْوَيْغُو إِنْتَبَا طَنْ زَكِيَا تَمْكُولَا
شَى كَوَاكُو كُنْوَرْد شِدِي كُوَانْ فُلْسَا شَى جَاكُنْمَاتَا
دُومَنْ إِنْوَنَابِي أَفِيلِي هَرْمَا أَيْمَاسَا كَلُونْ بَنْدَا

ظَنُّ وَني شاشاشن دُعْ غيبي وَفَنُّ وَفِيو بَنْدَرُ بَنْدَغيف
ظَنُّ هَمْسَن يَكِي كُو ظَنُّ دُوْدُ وَأَمَّا ذِيْكَلا غَارَزُ كاشي
بَاشي أَظُنُّظُو بَاشي دُبَا جِيْمَغِي شَكِي مِي بَنهُوشِي
بَابُ فَكْفَكِي غُنُّ دُبَا ظُنُّظُو شِي كُوا بَاشي حَكُورِي

١- معنى الأبيات:

ألا يا قومي دعوني ألتفت إلى تابع الأشرار
هل لاحظتم أخلاقه؟ أم أفصح أمامكم حمار النساء
وأكشف سره لينظر إليه نظرة احتقار
ذلك اللزيم بناحية هو أحق وأسف السفهاء
هو المتخنت الذي يبيع شرفه بخمسين من يأبه بالذي لا يساوي رجيعا
لا هو من الطيور ولا من الدواب هو وطواط مثير للغضب
لا تنبت الدواب جناحا ولا تنبت الطيور أسنانا

٢- التعريف بالشاعر:

عقيل علي

ولد عقيل علي في مدينة "جيفا" الواقعة في ولاية كب سنة ١٩١٨م وكان والده علي مشهورا بين قومه بالمداح. لكثرة ملازمته للقصيدا المعروفة بالعشرنيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

بدأ عقيل تعلم القرآن المجيد عند والده ثم انتقل من عنده إلى العالم محمد بن تكسا. وعلى يده أتم قراءة القرآن. وواصل في أخذ مبادئ العلوم الإسلامية والعربية عنده. حتى هاجر معه من جيفا إلى أرغنت ثم إلى صكتو. وبعد عودته من هذا السفر جعل يعد العدة للانتقال إلى كنو لمواصلة طلب العلم. وقد نزل في كنو عند العالم محمد سنكا. ولازمه لمدة طويلة^{١٢}.

سافر عقيل إلى برنو مصاحبا العالم إبراهيم الذي قدم إلى كنو لطلب العلم عند أستاذه. ولما وصل برنو تصدر للتدريس وأسس مدرسة إسلامية، يتزاحم عليها طلاب العلم. ثم سافر إلى أنغرو وأزري فأسس فيهما مدرستين على شاكلة مدرسته في برنو^{١٨}.

كان الشاعر سياسيا. انضم إلى الأحزاب السياسية في عصره وتولى مناصب عدة فيها خلال تواجده في برنو وكنو. وبعد من أشهر شعراء الشعر الهوسوي المدون في القرن العشرين. وله قصائد متنوعة وديوان سماه "فصاحة عقلية". تدور في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والنصائح الدينية وفي السياسة.

٣ - الأفكار الإسلامية في القصيدة:

كانت غاية الشاعر من القصيدة تفضيح المتخنث وكشف تمعيره وفسقه ليصان المجتمع من فساد وأمرأه. وذلك لما لاحظ الشاعر انتشار هذا الانحراف الخلقي في المجتمع الهوسوي. وهو تشبه الرجل بالنساء في المشي والكلام، ولقد ورد النهي والزجر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال. ولذلك نجد الشاعر يتلهب غيظا وسخطا. ويثور ثورة إسلامية على المتخنث. وهو منطلق عن عاطفة إسلامية صادقة. جياشة بأحاسيس ومشاعر إسلامية. ومجمل أفكاره هي:

- ١ - حقارة شأن المتخنث بين المجتمع الإسلامي بتعميره وفساده.
- ٢ - محاولة المتخنث تغيير خلق الله تعالى باتباعه خطوات الشيطان. قال تعالى: حكاية عن إبليس "وَأَضْلَلْنَهُمْ وَأَمْنَيْنَهُمْ وَأَمْرَنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَأَمْرَنَهُمْ فَلْيُغَيِّرُنْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مَبِينًا" الأنعام: ١١٩
- ٣ - كفران نعم الله تعالى والإعراض عن قسمته وقدره الملاحظة في سلوك المتخنث.
- ٤ - ثبوت اللعنة والخسارة على المتخنث في الدنيا والآخرة.
- ٥ - إن السعادة والشقاوة أمران مقضيان في سابق علم الله تعالى. فالمتخنث مولود بالشقاوة.
- ٦ - وجوب قتل المتخنث أو حبسه إذا لم يتب ويرجع عن فساد.

هـ- قصيدة النصيحة للسياسيين لمودي سفكين

عَنَّاوَا كُنْغَا دُونِيَا دُكْ تِيكِي سِي هَظَانِيَا
عَنِّي يِرْدَا دَعْسُكِيَا عَنَّا فَاَمَنْ هِيَنِيَا
عَنِّي غَانُوا عَسُكِيَا
عَنِّيَاسَا غَرِي غَرِي دُكْ كُدُو كَنْ بَتْنَشِرِي
يُكَنْ نَسِيهَا دَهْقِرِير عَنَّا دِيَابُو تُنْذَرِي
سِي بَتْنُ مَاسُو عَسُكِيَا
نَيَشِرُ نَبِي ثَنَانِي نَدُونَا بَاكَنْ عَيَفْنِيَا
عَسُكِيَا غَتَا أَتْسِنِي عَنَّا قَلَا تَتْنِي
أَتْنَا أَكَنْ مَعْسِيَا
مُسْلَمَ فَا يَنَّاوَا وَيَأْثِي بَابُ غِيَسُوَا
أَنَّاؤَايْكَ طَيَمُوَا كَرُ مَفْنِي وَجَنْدُوَا
إِنْدَ سِي مَسُو عَسُكِيَا

١- معنى الأبيات: يا إخواني هذه الدنيا ما فيها إلا التشاجر
رفض الناس فيها الحق وعكفوا فيها على الفوضى
وأبوا فهم الحق
أيها السياسيون من كل بلد تعالوا إلى الرشد
في النصيحة والصبر ومن دون التخويف
بل في اتباع قول الحق
سكت متفكر نظرت ما وسعني النظر
صار الحق معروفا وألغي منذ أمد بعيد
ويخوض الناس في المعاصي

نحن المسلمين إخوة ماذا يمنع تبادل السلام
كل يعمل في الحيرة علينا ألا ننسى مرجعنا
الذي لا يذجو فيه إلا أصحاب الحق

٢ - التعريف بالشاعر:

هو مودي سفيكن المولود بمدينة كنو سنة ١٩٣٠م في بيت عز وملك. كان جده سليمان ملكا على قرية أويو. ووالده محمد باوا هو الذي هاجر إلى مدينة كنو نتيجة النزاع الواقع بينه وبين إخوته على ملك أبيهم.^{٢٠}

قرأ مودي سفيكن القرآن الكريم عند والده وأخذ العلوم الإسلامية والعربية من علماء كنو منتقلا بينهم حتى نال من هذه العلوم حظا لا يستهان به. وتعلم الشاعر إلى جانب العلوم الإسلامية اللغة الإنجليزية بالدراسة المسائية بكنو التي أسست لتعليم الراغبين فيها. وواصل دراسته حتى نال الشهادة العامة في التربية الصادرة من إنجلترا سنة ١٩٦٠م^{٢١}. واستوطن حي فقي.

كان الشاعر مولعا بالإطلاع على حوادث الزمان وخاصة الأمور السياسية في نيجيريا وخارجها. ومن المتحمسين النيجيريين الذين سعوا لتحرير نيجيريا من الاستعمار، وكان له دور هام وأثر واضح في التوعية السياسية بين قومه. وقد انضم إلى الأحزاب السياسية في فترات متعددة. وتوفي ٢٠١٣/٢/١٩م بعدما خلف ما يزيد على ثلثمائة قصيدة.

٣ - الأفكار الإسلامية في القصيدة:

قد لا نكون مغالين إذا قلنا إن جميع أفكار القصيدة إسلامية، وذلك أن الشاعر استقى معانيها من مصادر الإسلام الأساسية: كتاب الله وسنة رسوله. وهي نصيحة طيبة يقدمها المسلم إلى أخيه المسلم في مجالات حياته وتصرفاته التي يجب أن تكون مطابقة ومتابعة لمنهج الله وشرعه. ومجمل تلك الأفكار هي:

- ١- حث المنتسبين إلى الأحزاب السياسية في البلاد على الرجوع إلى الصواب والرشد وترك الباطل والاجترار عليه.
- ٢- ذم التقاطع والتدابير بين أعضاء الأحزاب المختلفة وما يتفرع من ذلك من المشاجرة والخاصمة والمشاتمة والاستهزاء والانتهاز.
- ٣- دعوة السياسيين إلى نبذ التباغض والتحاسد إذ فيهما عدم الرضى بقضاء الله وقدره.
- ٤- وجوب مهاجرة المحرمات والمنهيات بأنواعها، وحرمة التحلل عن حدود الله وشرائعه.
- ٥- إخلاص النصيحة للإخوان في الإسلام بغض النظر عن العلاقة الأسرية والحزبية.
- ٦- الحث على قول الحق والصدق والعمل بهما في المعاملات بين الأسرة وفيما بين الأحزاب والجماعات.

الخصائص المضمونية للشعر الهوسوي الإسلامي

تتميز مضامين الشعر الهوسوي الإسلامي بالأفكار الإسلامية والتصورات الإسلامية. وتعكس ثقافة الشعراء الإسلامية والتزامهم بالأخلاقية الإسلامية في التعبير عن المشاعر والأحاسيس.

فبالنظرة المتأنية في قصيدة النصيحة للسياسيين نجد مودي سفيكن يستميل قلوب قومه ويردهم إلى الصواب والمثل الأعلى في معاملاتهم السياسية ويدعوهم إلى نبذ التباغض والتشاجر والتقاتل والفوضى، تلك العادات الشائعة في المجتمع الهوسوي خاصة وفي المجتمع النيجيري عامة خلال فترات الحكومة المدنية، وهو منطلق في ذلك كله من المفهوم الإسلامي للعلاقات السياسية وتوفير الأمن والسلامة في المجتمع.

وتأتي قصيدتي ذم الخمر والمتخنث للشاعرين: معاذ هطيح وعقيل علي محاربة للفواحش والسينات الفاشية في المجتمع الهوسوي ومطهرة للمجتمع من الإسراف والمخازي والأمراض المنتجة من شرب الخمر ومن تشبه الرجال بالنساء، تظهر عاطفة الشاعرين صادقة، جياشة بأحاسيس ومشاعر إسلامية. تتجلى فيها الأفكار والمعاني مؤيدة بالآيات القرآنية والأحاديث

النبوية. وتحت أسماء بنت الشيخ عثمان الفودي في قصيدتها الصديق على أداء قواعد الإسلام الخمس والاعتناء بالأحكام الشرعية. ودعت إلى اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويركز علي نمطي في قصيدته المدحية على عرض مكارم أخلاق الرسول. وكونه قدوة في العبادات والمعاملات. ورغب المسلمين في مدحه وزيارته لما في ذلك من الثواب والقربى.

الخصائص الشكلية

اقتراض الكلمات العربية للشعر الهوسوي:

إن استعمال الكلمات العربية في الكلام الهوسوي حقيقة واضحة وشائعة. وقد قدر بعض الكتّاب نسبة الكلمات العربية في الكلام الهوسوي بخمسين في المائة. حين يقول الآخرون إنها تبلغ ثلاثين في المائة. " لكن القول الذي يطمئن إليه القلب هو أنه من الصعوبة بمكان أن تنتهي فقرة في الكلام الهوسوي من دون أن ترد كلمة عربية الأصل. والملاحظ طغيان استعمال الكلمات العربية في الشعر الهوسوي الإسلامي على ما يوجد في الكلام الهوسوي العادي. فتعتبر خاصية المفردات العربية أظهر السمات اللغوية في هذا الشعر. وذلك لسببين:

الأول: تأثر هؤلاء الشعراء الإسلاميون بالشعر العربي في كلماته وعباراته وأصاليه. فمهد هذا التأثر السبيل لاقتراض كمية كثيرة من الكلمات العربية. وكما ساعد انطلاق الشعراء من التصور الإسلامي في أفكارهم على اختيار المفردات العربية.

الثاني: كان حرص الشعراء على الاحتفاظ بالقافية مما جرّهم إلى سوق الكثير من المفردات العربية. إن قد تضيق مفردات لغتهم عن الكلمات المناسبة. وكان بعض الشعراء يجعلون القافية مضماراً لإظهار البراعة والمقدرة اللغوية. فأدى هذا الاتجاه إلى إثراء المفردات الهوسوية وتوسيع دائرة استعمال الكلمات العربية في لغة الهوسا. فنلاحظ في قصيدة دم الخمر الكلمات: البصيرة والأمانة والضرورة والجنانة والإذن وغيرها.

نظم الشعر الهوسوي الإسلامي بالعرف العربي

ظلت الأمة الهوسوية قروناً عديدة لا تعرف الكتابة ولا القراءة حتى دخل الإسلام في المنطقة الهوسوية ووفد إليها بمهارتي الكتابة والقراءة. ويرجع ذلك إلى ما بين القرن الحادي عشر

والرابع عشر الملايين. فتعلمت الأمة الهوسوية العربية قراءة وكتابة كظاهرة من ظواهر الإسلام الذي جاء معتنيا بالمعرفة والثقافة والحضارة. ولم تلبث بعد إتقانها مهارتي الكتابة والقراءة في العربية طويلا أن بدأوا توظيف الحروف العربية لكتابة لغتهم المحلية، حيث كان المثقفون منهم يكتبون الرسائل والوثائق التاريخية باللغة المحلية، فلما جاءتهم فكرة تطويع أوزان الشعر العربي لنظم الشعر الجديد لم يجدوا بدا إلا استعمال الحروف العربية لنظمه. فنشأ الشعر الهوسوي الإسلامي منظوما بالحرف العربي، وظل نظم به إلى القرن العشرين عندما تحوّل الاستعمار الأوروبي فحوّل كتابة لغة الهوسا والشعر الهوسوي الإسلامي بالحرف العربي إلى كتابتهما بالحروف الإنجليزية.³³

أوزان الشعر الهوسوي الإسلامي

إن من أوضح خصائص الشعر الهوسوي الإسلامي استعمال بحور الشعر العربي لنظمه. وقد أبدع العلماء الهوسويون الذين نشأ هذا الشعر الإسلامي على أيديهم ثلاثة عشر بحرا من بحور الشعر العربي لهذا الشعر الجديد³⁴. وكان نظام تركيب البيت فيه مماثل لما في الشعر العربي. ويعتني رواد هذا الفن الإسلامي بالقافية اعتنائهم بالأوزان، حتى صارت القافية من أجلى السمات يتميز بها، وبخاصيتي وزن الشعر العربي والقافية يتضح الشبه القوي والتأثير والتأثر بين الشعر العربي والشعر الهوسوي الإسلامي.

الملاحظات البلاغية

يلاحظ في القصائد السابقة أنواع من الصور والأخيلة ما يشهد على خصوبة العقل وإرهاق الذوق ونضوج الفن لدى شعراء هذه الفئاة الفنية. ولا شك أن لتأثر الشعراء بالشعر العربي وأساليبه سراً في تصقيل عقليتهم وإثارة مشاعرهم وإثراء صورهم. ولكن مع ذلك التأثير الملحوظ ظلت الصور والأخيلة والبيانات متمسة بالسمات المحلية، وبقيت مستوحاة من الثقافة الهوسوية، ومستولدة من الطبيعة المجاورة. وقد توزعت الصور بين التشبيه والاستعارة والكناية.

يلمح التشبيه في قول معاذ هطيح عن شارب الخمر:

يتهمهم كالهرة افترست فأرة

فالتشبيه يؤكد كثرة همهمة شارب الخمر. دأبه في ذلك كدأب الهرة الملازمة للهمهمة

في كل وقت. ويقول الشاعر عقيل عليّ مفضحا المتخنث في تشبيهه رائع:

لا هو من الطيور ولا من الدواب

هو وطواط مثير للغضب

فالتخنث كالوطواط الذي يعتبر من أقبح الطيور وأخيثها وأنكرها لدى الناس، فهو كهذا

الطير يتأنف الناس من اقترابه ومعاملته: فهو إذا من الخبيثين.

ويشبه مودي سفيكن الرجل الذي يخوض في الكلام الباطل بشارب الخمر الذي لا يبالي

الناس بقوله. الجد منه والهزل سواء. حيث يقول:

أما الكلام النسي فيحدث سوء التفاهم

ويجلب الكراهية ويذهب بالهيبة

فتكون كشارب الخمر

ومما يرد إلى الاستعارة قول عقيل عليّ في المتخنث حيث سماه بأبي الخبيثين:

يبقى الرجاء خائباً

في المتخنث. أباي الخبيثين

فقد شبه الشاعر المتخنث وهو قائد الخبيثين بأبي الأسرة وزعيم البيت. فحذف المشبه

وهو القائد وأطلق عليه المشبه به وهو أبو البيت. وهي استعارة تصريحية.

ومما يعتبر من الكناية قول عقيل عليّ عن المتخنث "أنه يتمرغ دائماً في الروثة":

ليأمن الجار من شره أبداً

هو متمرغ في الروثة

وإذا قيل في التعبير الهوسوي إن فلانا يتمرغ في الروثة أو يحمل الروث، فهو كناية عن

خوضه في الباطل أو شهادة الناس عليه بالسوء والباطل.

ويكني الشاعر مودي سفيكن عن تتبع الصدق والحق بنظرة البومة، ذلك الطير الجاحظ العينين. يترقب بهما الأشياء وكان الناس يخافون منه ومن صوته ونظرتة. وهكذا حال من يتتبع الصدق والحق يكرهه الناس ويبتعدون منه. وذلك في قوله:

ننظر نظرة البومة لنطلع على الصدق
من غير النفاق ولا الرياء اللهم اعصمنا من التشاجر
ومن كل المعاصي

النأثر بالقرآن الكريم

إن كتاب الله العزيز من أهم مكونات الأديب المسلم الثقافية. نتيجة طول عهده به قراءة ودراسة. يستلهم معانيه وصوره على مقدار ثقافته واستعداده. وقد لاحظنا في القصائد السابقة تأثر الشعراء بمعان القرآن وصوره ومشاهده. وذلك برهان على صلتهم المتينة بهذا المصدر المجيد. نرى الشاعر مودي سفيكن في تحذيره السياسيين عن الاستهزاء من منافسيهم متأثراً بقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن..." الحجرات: ١١ حيث يقول:

عليكم بالهدوء ولا تكونوا مستهزئين
أما مالك وحنبيل فقد أمارنا باتخاذ العدة
وأن نكون صادقين

وترد كلمة الهاوية بمعناها القرآني في بيت الشاعر مودي سفيكن حيث يأمر قومه بخشية الله والحذر من الوقوع في الهاوية. وهي من أنواع نار الآخرة. قال تعالى: "وأما من خفت موازينه فأمه هاوية" القارة: ٨-٩ ويقول الشاعر:

أنشدكم بالنبى محمد وبالشيوخ أحمد التجاني
اتركوا التباغض والتحاسد علينا بخشية الأوحى
لئلا نطرح في الهاوية

ويظهر المعنى القرآني في قول معاذ هطيج في منع شارب الخمر من دخول المسجد ومس

المصحف:

ويحرم دخول المسجد للجنب وشارب الخمر

ولا يؤذن لشارب الخمر في مس المصحف

يرد معنى البيت الأول إلى الآيات التي نصت على تحريم تناول الخمر مثل قوله تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" النساء ٤٣٠ وما نزل بعدها من الآيات

في تحريم الخمر. ويتأصل معنى البيت الثاني من قوله تعالى في حق القرآن الكريم "لا يمسسه إلا

المطهرون" الواقعة: ٧٩ وهي نهي عن مس المصحف بدون الطهارة.

ويبدو التأثير بالآية القرآنية في قول عقيل علي بإعدام المتخنث أو حبسه. حيث يقول:

لا خير لديه إلا الشر وأحرى أن يعدم ذلك اللئيم

وإن لم يعدم فالحبس أولى له يبقى في الحبس إلى الأبد

يرد معنى البيتين إلى قوله تعالى: "واللذان يأتیانها منكم فأنوهما فإن تابا وأصلحا

فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحیما" النساء ١٦.

ويلمح في أبيات أخرى من القصائد السابقة معاني القرآن وصوره ما يبرهن على إسلامية

أفكار الشعراء وتوظيف فنهم لتأصيل وتعميق الدعوة الإسلامية في النفوس.

الغائمة:

قد توصل البحث في الصفحات السابقة إلى أن الشعر الهوسوي الإسلامي بأوزانه وقوافيه فن جديد في الأدب الهوسوي. نشأ في ظل الإسلام وخاضع للشعر العربي. في بحوره وقوافيه. وترعرع على أيدي العلماء العباقرة. أصحاب الملكة والموهبة في نظم الشعر العربي. الذين فكروا في توظيف بحور الشعر العربي للشعر الجديد. فظل الشعر الهوسوي الإسلامي متسماً بالتحور الإسلامي في أفكاره ومضامينه ورسائله. استفاد رواده من المصدرين الإسلاميين كتاب الله وسنة رسوله. ومما يعد من خصائص الشعر الهوسوي الإسلامي التزامه بشكل الشعر العربي وتأثره به. الأمر الذي مهد السبيل لافتراض الكلمات العربية في ثناياه ونظمه بالحرف العربي. وإزكاء عقلية رواده لإتيان بالأخيلة والصور على شاكلة ما تضمنه الشعر العربي. وإن ظلت الصور والأخيلة فيه متسمة بالسماط المحلية ومستولدة من الثقافة الهوسوية. وكان للفن دور ملموس في توجيه وتصحيح أوضاع المجتمع الهوسوي وتوفير المتعة الفنية للأفراد والجماعات.

المواضع

- ١- شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، مصر، ١٩٩٣م، ص ٢٧
- ٢- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، لبنان، ط١: ١٩٧٢م، ص ٢٣٥
- ٣- إبراهيم يارو يحي، تاريخ الكتابة في لغة الهوسا، NNPC، زاريا، ١٩٨٨م، ص ٣٦
- ٤- إبراهيم يارو يحي، المرجع نفسه، ص ٤٣
- ٥- إبراهيم يارو يحي، المرجع نفسه، ص ٥٢
- ٦- إبراهيم يارو يحي، المرجع نفسه، ص ٥٢
- ٧- يعقوب الحاج عبد الله، ملامح الأدب الإسلامي في شعر الهوسا المدون، بحث لنيل درجة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، ٢٠٠٩م، ص ١٣١
- ٨- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع نفسه، ص ٧١
- ٩- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع نفسه، ص ٧١
- ١٠- علي نمنغي، وَاقرْ إِنْفَرَاجَ تَفَرُّكُو، دار الطباعة غير مذكورة، ص ١
- ١١- مصطفى السيد حجازي، أدب الهوسا الإسلامي، الإدارة العامة للثقافة والنشر، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٥
- ١٢- مصطفى السيد حجازي، ص ٢٩٩
- ١٣- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع السابق، ص ٩٦
- ١٤- لبابة إنوا غربا، الملاحظات النحوية في شعر معاذ هطيح، بحث لنيل درجة الليسانس في قسم اللغات النيجيرية، جامعة بايرو، كنو، ٢٠٠٤م، ص ١٠
- ١٥- لبابة إنوا غربا، المرجع السابق، ص ١١
- ١٦- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع السابق، ص ١٠٩

- ١٧- أدو شيخ رنغن، حياة الحاج عقيل علي وأعماله. بحث لنيل درجة الليسانس في قسم اللغات النيجيرية، جامعة بايرو كنو، ٢٠٠٢م، ص ٩
- ١٨- أدو شيخ رنغن، المرجع السابق، ص ٨
- ١٩- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع السابق، ص ١٣٩
- ٢٠- عثمان أحمد، إسهامات الحاج مودي سفيكن في الأدب الهوسوي: بحث لنيل درجة الليسانس في قسم اللغات النيجيرية، جامعة بايرو كنو، ٢٠٠٢م، ص ٤
- ٢١- عثمان أحمد، المرجع نفسه، ص ٦
- ٢٢- شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص ٢٧
- ٢٣- علي أبوبكر، المرجع السابق، ص ٣٧٩
- ٢٤- عيسى نوح، الفن العروضي في اللغة الهوسوية، بحث لنيل درجة الليسانس في قسم اللغات النيجيرية، جامعة بايرو كنو، ١٩٧٧م، ص ٢٨ والبحور هي: المتقارب والطويل والهزج والوافر والتدارك والرجز والبسيط والمنسرح والرمل والمديد والخفيف والكامل والمقتضب